المُعلّم الجديد

المعلم الجديد

مجلة تربوية ثقافية عامة

ثبت الجزء السادس

تولدت عن ذلك ، الغرور والدعوى

الشأن فى . . . الكسل والبلادة ، وهذه علل

ولاجل حل هذه . . . فى شؤن التربية والتعليم الى

التى تغرى خيرة المعلمين وصفو . . . يستحيل اصلاح تلك المعائب

ـيرها

طبعت بمطبعة التفيض الاهلية

مراحل النمو عند الانسان

بقلم: نوري جعفر

عضو البعثة العراقية بجامعة اوهايو فى أمريكا

ان فهمنا لمراحل النمو ، من حيث نحن آباء ومدرسون ، يترتب عليه محاولة حل كثير من مشاكل التربية والتعليم . ولعلنا نردد حقيقة مسلمة اذا ما قلنا ان المدرس ينبغى له أن يجيد معرفة ما يدرسه ومن يدرسه . فمعرفة الكيفية التى يتعلم بها الطالب ، والاهواء التى تسيطر عليه فى مراحل نموه المختلفة ، والميزات التى يتميز بها فى سن معينة، ومدى تمكنه من معالجة الامور والاشياء ، وقدرته على توجيه انتباهه واستبقائه فى ذلك الاتجاه الخ ... امور لا تقل أهمية بحـــال من الاحوال عن اتقان المادة المراد تدريسها .

واذا علمنا أن أهواء الاطفال وأولاعهم هى محور اهتمام التربية الحديثة ، وان تلك الاهواء والاولاع تظهر بفترات من السحر مختلفة، تبين لنا أثر معرفتنا لمراحل هذه الاهواء لتغذيتهـــا وتنميتهـــا على الوجـه الصحيح .

ان نمو الفرد (١)، من نواحيه العقلية والجسمية والانفعالية ، لا يسير بتناسق واستمرار فى مراحل النمو المختلفة التى يجتازهـــا

(1) Nunn, Education : Its Date and First Principles p. 169.

٣ ـ التسويغ Rationalization وهو أن يحاول الانسان وجدان سبب معقول لعمله فقد تسأل شخصا عن سبب الادخان بالتبـغ مثلا فيجيب « لانه يهدىء الاعصاب » ولكن الواقع ان السبب هو حب الظهور أو التنفيس عن الغريزة الجنسية

٤ ـ التقمص اى الاندماج Identification وهو أن يندمج شخص فى شخصية أخرى غالبا محبوبة اليه ويعجب به وتظهر عنـــد الاطفال فى اللعب الوهمى وعند التلاميذ فى تقليد حركات مدرسيهم وعند صغار الموظفين فى محاكاة رؤسائهم .

٥ ـ التراجع Regration : وهو أن يأتى شخص كبير السن عملا يقرب من الطفولة كأن يبكى مثلا وذلك راجع الى انه يحن الى حياة الماضى حياة الطفولة الملأى من اللهو والمرح وقد روت لنا الصحف الانكليزية منذ زمن طويل حادثا طريفا لاحد تجار الشاى العالميين الشهورين فقد ترك هذا يوما ما عمله وظل يهيم فى الغابات عارى الجسم، وهذا الخبر يدهشنا أول ما نسمعه ولكنا لا ندهش اذا عرفنا سره فلقد كان التاجر مكبلا بأعمال كثيرة وهو يحن الى الحياة الاولية الخالية من المسئولية فحدثت له الحادثة السالفة الذكر .

٦ ـ الزم Repression ويكون للاشياء الثقيلة على النفس وتؤدى هذه الى النسيان فقد أكون أنا مثلا على موعد مع شخص مـــا ولكنى أشعر بأن شخصيتى تتضاءل بحضـرة ذلك الشخص فـــأنسى الموعـــد .

٧ ـ الاستعاضة Compensation وهو الظهور بصفة بقصد تخفيف صفة أخرى غير مستحبة فكثيرا ما نرى جمـــاعة من الطلاب الضعاف فى الدروس يظهرون فى ميادين الرياضة ونرى شخصا قصير القامة ثرثارا وحظه كبير .

٨ ـ اللز «التكييف» Condensation وهو التوفيق بين الرغبات المزمومة والقوى الزامة لها بوجدان حل متوسط بين الرغبتين قـرب شخص ـ مثلا ـ فاضل ولكن فى عقله الباطن رغبات رذيلة لا يستطيع أن يبوح بها نجده يلقى حديثا أو يكتب كتابا يذم به الرذيلة ولكنـــه يصفها بوصف مغر بها .

٩ ـ الطريقة الدفاعية Defence Mechanism وهى نزعة لا شعورية تؤدى الى حماية الفرد من موقف يتوقعه ، ولكن لا يحبه فرب طالب ـ مثلا ـ يخشى الامتحان فيشعر فى يومه بمرض يعتريه.

أهمية اللاشعور للمربى :

مما تقدم يتضح لنا ان اللا شعور يحكى دورا مهما فى حيـــاة الانسان وواجب المربى أن ينتبه الى مثل هذا فيحاول ألا يجعل النشء الصغار يتعودون زم أهوائهم بل يعودهم الشجاعة ويتجنب العقد النفسية يعاملهم بالرفق والرحمة فهو بذلك ينشىء رجالا سليمة عقولهم سليما تفكيرهم ويمكنه أن يعمل لمنفعته واعلاء أمته واسعاد الانسانية .

ويقسم الأستاذ White عملية النمو الى مراحل ثلاث هى : مرحلة استكشاف الذات وتبدأ من الولادة وتمتد الى السنة الخامسة من العمر ، يليها ما سماه بالدور الكامن وينتهى فى حدود السنة الثانية عشرة من العمر ، أما المرحلة الاخيرة فسماها مرحلة المراهقة أى البلوغ وتشمل ما تبقى من العمر .

ويقول الأستاذ « هوايت » ، فى كتابه المذكور ، ان المرحلة الاولى تتصف بالانانية والغيرة وذاتية المركز ، اذ يبقى اهتمام الطفل منصبا على نفسه وكل ما يتعلق بها من وجهة نظره هو ، أما المرحلتان الاخريان فاسماهما يوضحانهما أحسن التوضيح .

ومما تبغى الاشارة اليه فى هذا الصدد ، ان الاستاذ هوايت متأثر بالنزعة الفرويدية الجنسية التى سنحاول الالماع اليهـــا فى فقرات آتيــة :

ويقسمها الدكتور C. Burt وكلاباريد وغيرهما الى خمس مراحل هى : مرحلة الطفولة الاولى وتنتهى فى حدود السنة الخامسة من العمر ، ومرحلة الطفولة المتأخرة وتنتهى فى حدود السنة الثانية عشرة من العمر ومرحلة ما قبل البلوغ وتنتهى فى حدود السنة الرابعة عشرة من العمر ، ثم مرحلة المراهقة وتنتهى فى حدود السنة الثـامنة عشرة من العمر . وأخيرها مرحلة الرشد maturity وتمتد الى ما تبقى من العمر .

ان هذا التقسيم من أحسن التقسيمات ملاءمة للتربية والتعليم وخلاصته فى تقارير الـ Board of Education وفى كتابه G. Whealer الموســوم بـ

Creative Education and Future

ويقسمها Stanley Hall حسب نظريته الاعادة Recapitulation المشهورة فى كتب التربية وعلم النفس وخلاصتها : ان الفرد يعيد فى اثناء نموه ، تاريخ النوع البشرى منذ وجوده على وجه الارض حتى الآن الاقسام الآتية :

١ – مرحلة الصيد والاخذ والعض وتنتهى عند السنة السادسة من العمــــر .

٢ – مرحلة الظهور والاختفاء وتنتهى عند السنة الثانية عشرة من العمــــر .

٣ – مرحلة التملك وتنتهى عند السنة الرابعة عشرة من العمر .

٤ – المرحلة الزراعية وتنتهى عند السنة السادسة عشرة من العمر .

٥ – المرحلة التجارية وتمتد الى ما تبقى من العمر .

ويتخذ الاستاذ Hall « لعب » الاطفال أساسا لهــذا التقســيم .

. ولهذه النظرية تاريخ حافل فى مناهج التربية والتعليم ولها انصار وخصوم ، ويجد القارىء عرضها ونقدها باختصار ووضوح فى كتاب شيخ المربين ([1]) .

ويقسمها Freud رأس مذهب التحليــــل النفسى الى خمس مراحل، من حيث اللذة الجنسية التى يعدها الدافع الاول الاســاسى لكل مظاهر سلوك الانسان . فالمراحل كلها – فى نظره – مراحل لذة جنسية وحب جنسى ولا يختلف بعضها عن بعض الا فى الاتجاه الذى يسير فيه ذلك الحب والموضوع أى الذات التى ينصب عليها ، وخلاصة هذه المراحل يجدها القارىء فى مقالة كتبها الاستاذ Flugel استاذ علم النفس المساعد فى جامعة لندن ، فى الكتاب الذى طبعه الاستاذ W. Pose بعنوان :

Introduction to Arodern Knowledge

فمن شاء التزود من هذا الرأى الطريف فليرجع اليه . على اننا ، نختصر هذا الرأى اكمالا لسلسلة البحث على الوجه الآتى :

(١) المرحلة الاولى وتصبغ سلوك الطفل فى السنتين الاولين من عمـــره وتدعى مرحلة اللذة الذاتيــــــة – أعنـــى – ان الطفل يشتق لذة جنسية من مناطق معينة فى جسمه كالفم فى أثناء الاكل والشرب او الرضاعة وهو يمتص ثدى أمه، والشرج فى أثناء تبرزه، والقضيب أثناء تبوله . وتدعى اللذة المشتقة من هذه « المناطق» الجسمية على التوالى ب Cral-Erotic تليها Anal-Erotic ف Genital-Erotic

ويبدأ الطفل بحب امه فى هذا الدور حبا جنسيا لا يختلف من حيث الاساس عن حب أبيه لها مع فارق واحد هو أن الاب – على حد زعم فرويد – يشتق لذته الجنسية من الجماع على الطريقة المعروفة، مع أن الطفل يشتق هذه اللذة نفسها من مصه ثديها وذلك لنقصانه فى التكوين الجسمى فى أثناء هذ المرحلة وعجزه عن المواقعة الجنسيـــة بمعناها المعروف . وان حبه لامه لا ينبغى أن يفسر الا على هذا الاساس.

وبما ان الطفل يلاحظ به بتدريج نموه ، أن أباه « يزاحمه » على حب امه سلبه اياها بطرق شتى وأساليب مختلفة تبدأ بدور البغض والكراهية بالظهور نحو هذا « الدخيل » الذى يريد سلب الام من هذا المخلوق العاجز الضعيف الذى لا يستطيع أن يقابل هذا الاعتداء بمثله لضعفه فى التكوين أوانذاك . فينتصر لنفسه ولكن من الوجهة السلبية وذلك بأن يبدأ بالنفور عن أبيه ، ومحاولة ابعاده عن أمه أو ابعادها

(1) Democracy and Education.

عنه على حسب الامكان . وهكذا تتكون بالتدريج « عقــــدة أوديب » المعروفة . ويبدأ التصادم بينها وبين ما يكنه الطفل لابيه من اعجاب واكبار لقوته اذا ما قيس بالضعف البادى على الطفل أوانذاك .

(٢) مرحلة تعشق الذات وفيها ينصب ميل الطفل من الناحية الجنسية على نفسه ويزداد اعجابه . وتنتهى هذه المرحلة عند السنة الخامسة من العمر .

(٣) الدور الكامن وهو دور الزم الذى يعده فرويد من أخطر أدوار النمو . وينشأ هذا الدور بسبب تصادم أهواء الطفل ورغباتــه الجنسية مع قوانين المجتمع وعرفه وعاداته . فالمجتمع مثلا يحرم أن ينظر الطفل الى امه نظرة جنسية مستهوية بأى شكل كان من الاشكال . على حين يجد الطفل ، بحسب رأى فرويد ، ميلا قويا يدفعه الى هــــذا الاتصال الجنسى . وبما ان كلا العاملين قرب من ناحيته . وان الطفل لا يستطيع أن يتحكم فى قوانين المجتمع ونظمه وتقاليده من جهة ، ولا يستطيع التخلص من ميله الجنسى العنيف نحو امه من جهة أخرى . وبما انه لا يستطيع أن يعيش وسط هذا التصادم العنيف . يحاول زم هذه النزعة « الشديدة » بنظر المجتمع فتتسرب فى أعماق « اللاشعور » وتحرك سلوك الطفل فى الزمن المستقبل القريب او البعيد ، أاهرة أو من وراء ستار ، بين حين وآخر ، فى هذا الاتجاه أو ذاك . وينتهى هذا الدور فى السنة الثانية عشرة من العمر .

(٤) الدور الرابع ويدعوه فرويد بدون حب الغير من نفس الجنس وهو بدء ظهور ما يدعى بالغرام الشاذ عند البنين أو البنات . وينتهى فى العادة عند السنة الرابعة عشرة من العمر .

(٥) دور حب الغير من الجنس الآخر . ويمتد الى ما بقى من العمــر .

ورأى فرويد هذا خطير وجليل تترتب عليه أمور اجتماعيــة على أهمية عظيمة ، ولا يتسع الموضع هنا لمناقشة وتفنيــد كثــير من أسسه . غير أن الشائع عند كثير من علماء النفس العظام أن هــذا الرأى مبالغ فيه كثيرا . ولم يسلم بهذا الرأى على اطلاقه رؤس مدرسة التحليل النفسى أمثال « ادلر » و « يونك » .

ومن طريف ما قرأناه من الردود فى دفع هــذا المذهب ما كتبه العالم الانكليزى الكبير المرحوم McDougall فى كتبه الخالدة الثلاثة (١ ... ٣) وما كتبه (٤) gung و(٥) Banister و(٦) Hadfield

(1) McDougall, An Outline of Abnormal Psychology.
(2) McDougall, Social Psychology.
(3) McDougall, Psycho-Analysis and Social Psychology.
(4) Jung, Modern Man in Search of the Saul.
(5) Banister, The Psychology and Health.
(6) Hadfield, Psychology and Marals.

فليرجع من أراد التوسع فى ذلك الى هذه الكتب والى كثير غيرها . ففيها طرافة ولذة فى معالجة مشكلة من أهم مشكلات الحياة أن لم تكن أهمها جميعا . ولعله فى اثناء قراءته هذه يطلع على كثير من الاسرار النفسية المهمة للعلاقة بين الرجل والمرأة والدور الذى يستطيع أن يحتله كل منهما فى اثناء الزواج وقبله وبعده على محكى هــذه الحيــــاة .

عفوا أيها القارئ، فقد سرنا قليلا فى « الحقل » الفرويدى الزاهى وبذلك بعدنا ، بعض البعد المادى على الاقل ، عن النقطة التى بدأنا معالجتها وهى ذكر نماذج من تقسيمات جماعة من علماء النفس والمربين لمرحلة النمو . ولعل من المفيد الا نقطع هذه السلسلة ولنذكر بعض التقسيمات اكمالا للبحث . والافضل أن نذكر تقسيم الاستاذ (١) Ernest Jones وهو من أعظم انصار فرويد وشراحه . فهو أذن يقسمها أيضا من الناحية الجنسية . ولكنه يختلف عن فرويد من ناحية عدد هذه المراحل وميزاتها . فهذه المراحل فى نظره أربع أربع على الوجه الآتى :ـ

(١) مرحلة الطفولة الاولى وتنتهى عند السنة الخامسة من العمر . (٢) مرحلة الطفولة المتأخرة وتنتهى عند السنة الثانية عشرة من العمر . (٣) مرحلة المراهقة وتنتهى فى حدود السنة الثامنة عشرة من العمر . (٤) مرحلة الرشد وتنتهى آخر العمر .

ويحسب الاستاذ Jones كلا من المراهقة والرشد « اعادة » ـ من الناحية الجنسية لا من ناحية بايولوجية أو اجتماعية كما يزعم Hall ـ لكل من الطفولتين الاولى والثانية بالتعاقب . ويستدل على رأيه هــــذا بما بين كل مرحلة ونظيرتها من تشابه فى الاحلام والمخاوف ، وما يســـــاور الفرد فى اثنائهما من قلق وعنف فى الانفعــالات .

اما الآن وقد استرسلنا فى ذكر هذه التقاسيم ، فنود أن نختمها بتقسيم الاستاذ Piaget وهو تقسيم « طريف » ساذج اشتقه لنفسه فى أثناء قيامه بتجاربه الواسعة على الاطفال ودراستــه سلوكهم عن كثب . وخلاصة هــــذا الرأى أن النمو يتكون من مرحلتين احداهما يدعوها Piaget ذاتية المركز Ego-Centricity اذ يكون اهتمام الطفل متعلقا بذاته فى السنين السبع او الثمان الاولى

(1) Boss, Groundwork of Educational Psychology p. 139.